عنوان رواية (Les chemins qui montent)أصلا وترجمة.

نسيمة لعداوي*

الملخص

يعد العنوان مفتاح الكتاب والرواية ، بواسطته نتوصل إ لى أخذ صورة عن مضمون الرواية قبل الخوض فيها. فهو اللوحة الاشهارية المضيئة على غلاف الرواية ، تجذب القارئ أو تنفره. لذا فالروائي يسعى دائما ، و بعد تفكير عميق ، لإيجاد العنوان المناسب الذي يعبر بصدق وعمق عن المضمون الحقيقي الرواية. هذا ما يجعل ترجمةالعنوان من القضايا المعقدة التي تستوجب من أهل الاختصاص في الترجمةتدقيق النظر في أسسها الأسلوبية والبلاغية والتبليغية.

يتمحور مقالنا حول ترجمة عنوان روايةLES CHEMINS QUI MONTENT لمولود فرعون وترجمتيه إلى اللغة العربية «الدروب الوعرة» و «الدروب الشاقة». نلاحظ أن العنوان الأصلي أي المكتوب باللغة الفرنسية مختلف بعض الشيء عن ترجمتيه الى العربية سواء في الصيغة (اسم وجملة فعلية/ اسم واسم) ، ملموس مرئي ومجرد.

Résumé

Le titre d'un ouvrage ou d'un roman représente sa première fenêtre qui livre les premières informations sur son contenu. Il en est la fiche publicitaire qui attire le lecteur ou le repousse. Pour ce, le romancier ou l'écrivain tente, toujours, après mure réflexion, de trouver un titre assez représentatif et assez profond à son produit. C'est ainsi, que la traduction du titre d'un roman peut s'avérer plus rude que traduire son contenu.

Le présent travail traite du titre du roman Les chemins qui montent de Mouloud FERAOUN et ses deux traductions vers l'arabe الدروب الوعرة et الدروب الشاقة Il faut souligner, d'abord, que le titre en langue française fait référence à une réalité visible, alors que ses deux traductions renvoient à une abstraction que l'on ressent sur différents plans : physique, moral et sentimental.Ce titre d'origine renvoi, dès la première lecture, à ce paysage montagneux, ardu et difficile d'accès. Il décrit ces chemins exigus et tordus qui

*كلية الأداب و اللغات ، كلية اللغات .جامعة البويرة.

longent les montagnes et qui mènent vers ces villages perchés sur les sommets. Plus on marche et on monte, plus ces chemins nous s'allongent et s'étirent. Ce titre montre aussi les paradoxes de la société kabyle et une certaine lutte pour la survie face à la pauvreté, l'occupation, la religion (Islam et Christianisme) et autres.

التمهيد

العنوان هو المدخل الرئيسي والركيزة الأساسية لعرض لمحة مجملة عن الإنتاج الأدبي والتخيلي بصفة عامة ، والروائي بصفة خاصة ، قبل الخوض في ثنايا صفحاته: فهو مفتاح عالم المؤلفات وإشارته الأولى ، كما يعد العلامة التي تطبع الكتاب أو النص وتسميه وتميزه عن غيره. قيل قديما « الكتاب ... يعرف من عنوانه». وما يؤكد لنا صحة هذه المقولة ، أن أول ما يلفت انتباهنا ونحن في المكتبة أو في معرض الكتاب هو العنوان: فهذا الأخير ، على غرار الصفحة الإشهارية ، هو الذي يستوقفنا ويجذبنا نحو إنتاج أدبي ما لتصفح صفحاته ومعرفة العناصر المجاورة والمحيطة بمضامينه. فالعنوان نص مصغر أو تلخيص لما يعنون له.

ولكونه علامة نصية وسيميائية ناطقة ومعبرة ، أصبح العنوان الروائي موضوع الدرس السيميولوجي بامتياز ، يتمثله الباحث على صورة نظام سيميولوجي ، متعدد القيم الجمالية والأبعاد الاديولوجية في إمبراطورية علم العلامات التي لا حدود لها[1].

وعليه ، فإن للعنوان وظائف مركزية عدة لكونه بوابة النص ومرآة تعرض صورة عنه جامعة بين الإجمال والتفصيل. وقد لخص جيرار جينيت هذه الوظائف فيما يلي:

- وظيفة تعيينيه تميزالكتاب باسمه عن بقية الكتب
- وظيفة وصفية ترتبط بمضمون الكتاب
- وظيفة إيحائية ترتهن بالأسلوب والطريقة التي يشير بها العنوان إلى النص
- وظيفة إغرائية تسعى إلى إغراء القارئ واجتذابه لاقتناء الكتاب.
- وقد أشار آخرون إلى وظائف أخرى: دلالية ، مدلولية ، تلخيصية ، تمييزية...

(1) عبد المالك أشهبون «العنوان في الرواية العربية « دار محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق، سوريا، 2011 ، ص14.

نقل Les chemins qui montent إلى العربية

كثيرا ما نجد في العناوين الشائعة المشهورة ما لم يسلم من التغيير والتشويه ، خاصة لما يتعلق الأمر بالترجمة والاستيراد نقلا من لغة إلى لغة أخرى ، ومن ثقافة إلى ثقافة أخرى. ومن هذا المنطلق ، فان إشكالية العنوان غاية في التعقد ، وتستدعي من أهل الاختصاص في الترجمة والمهتمين باستيراد وتصدير المنتوج الفكري ، ما بين الأمم والثقافات واللغات ، تدقيق النظر في أسسها الأسلوبية والبلاغية والتبليغية.

لقد حظيت رواية مولود فرعون les chemins qui montent ، بترجمتين أو بصيغتين نحو اللغة العربية: ترجم أولاهما الدكتور حنفي بن عيسى ، تحت عنوان « الدروب الوعرة » ، عام 1984. أما الثانية ، فقد ترجمها حسن بن يحي، تحت عنوان « الدروب الشاقة »، سنة 2005.

نلاحظ أن العنوان يكاد يكون نفسه في الترجمتين ، إذ استعمل المترجمان كلمة « الدروب » التي ترجمت حرفيا عن كلمة les chemins الفرنسية. فالكلمتان متطابقتان عدداحيث وردتا على صيغة الجمع ، ومختلفتان جنسا حيث جاءتا علي المذكر في اللغة الفرنسية وعلي المؤنث في العربية.

واختلف المترجمان ، أيضا ، في الجزء الثاني من العنوان « qui montent »: إذ ترجم في حالة بالوعرة ، وفي حالة أخرى بكلمة مرادفة لها هي الشاقة. فهل لهذا الاختلاف سبب؟ هل له من مغزى أو ركيزة؟ هل أدت هاتان الكلمتان كل الوظيفة الدلالية للجزء الثاني من العنوان الأصلي الذي ورد جملة فعلية واختزل في اسم عند اجتيازه جسر الترجمة؟ هل العنوان الأصلي أصلي حقا ، أم هو مأخوذ عن لغة أخرى ، أي أننا نود معرفة ما إذا كان التفكير في هذا العنوان بلغة الكتابة أم بلغة أخرى؟ هذه مجموعة هامة من الأسئلة التي نود الإجابة عنها ولو بقسط يسير.

قد يكون العنوان أول ما يواجه المترجم في مؤلف ما نظرا لأهميته البالغة في التقديم للمؤلف والإشهار به ولكونه العنصر الذي يحظى بالأهمية الكبرى والتركيز الدقيق عند المترجم ، لأنه بوابة النص أو المؤلف المترجم ، بل هو وجهته الخارجية التي تؤدي الكثير من مضمونه في كلام موجز قد لا يتعدى الكلمة الواحدة. لكن ، ليس معنى هذا أنه أول ما يترجم في المؤلف ، بل قد يكون من المستحسن تأخير ترجمته إلى ما بعد الفراغ من ترجمة النص كله.

لاحظنا في العنوان ، كما ورد في الترجمتين ، بعض النقص مقارنة مع

العنوان الأصلي ، لأن تصريح المترجمين بالشقاء والوعورة ، في هذه الدروب ، أمر لم يرد صراحة في النص الأصلي. فقد اعتمد المترجمان على أخذ المعنى الاستعاري للعنوان بعد الاطلاع على الرواية فقاما بترجمته وفك بعض من إيحاءاته. فما ترجم ، إذن ، ليس العنوان بحد ذاته ، بل جزء من معناه الخفي الذي نصل إليه من خلال قراءتنا للنص الأصلي ، ونصل إليه مع مختلف الصعوبات والعراقيل التي تواجه الشخصيتين الرئيسيتين للرواية: ذهبية وعامر. وانطلاقا من هذا ، نظن أن ترجمة العنوان هي آخر ما ترجم في هذا المؤلف. فهل هذه الترجمة صائبة مؤدية للعنوان الأصلي للرواية؟ إن هاتين الترجمتين بعيدتان نوعا ما عن العنوان الأصلي ، في شطره الثاني ، وليستا متطابقتين معه مثلما هو الحال بالنسبة للشطر الأول (الدروب)لاعتمادهما على بعض من المحتوى الدلالي ، ومضمون الرواية بأكملها ، لا على هذا الجزء من العنوان في ذاته ولذاته ، وإن كانت هذه الترجمة قد أخذت بعضا من العناء الذي ورد ضمنيا في العنوان الأصلي .

نظن أن المترجمين قد عمدا إرجاء الشروع في التعامل مع ترجمة نص العنوان إلى حين إنهاء مضمون الرواية ، وذلك لكون العنوان ، على صغره ، يكاد يمثل ، لوحده ، عالما أسلوبيا وبلاغيا له دلالته وجماليته الخاصة التي يتعين إزاءها التمكن من قدرات تحليلية وتركيبية وتبليغية خاصة ، لا نظنها تتوفر لدى كل ذي ريشة وبراعة. إنهما ترجمتان لا تفيان تماما بالغرض المقصود من العنوان الأصلي ، أي أنهما أوردتا بدائل معجمية لا تستوفي ، من حيث دقة المكتنز المدلولي ، ما تتوفر عليه الجملة الفعلية الواردة في العنوان الأصلي. فهذا المعادل المعجمي ليس سوى البعد الأولي بل السطحي البسيط لمعنى نراه أول ما يتبادر إلى ذهن القارئ أو المتلقي. فترجمة العنوان بمعنى «الشاقة أو الوعرة» ترجمة اقتصرت على جزء فقط مما يوحي إليه العنوان الأصلي.

إن في الإقدام على ترجمة لفظة العنوان وغيرها من الصور والتعابير المجازية والاستعارات والألغاز والحكم ، دون اعتبار الخلفيات التاريخية والاجتماعية والثقافية الخاصة بالنص وصاحبه ، ليشكل صورة من صور التعامل السطحي البسيط مع أبعاد متعددة للنص. فالمترجم ، بوصفه مبدعا ثانيا للنص ، مطالب باستحضار كل الظروف التي عايشت كتابة النص الأصلي ، والانغماس في المحيط الاجتماعي ، والثقافي ، والعقائدي ، والتاريخي الذي نبع منه ذلك النص[1].

(1) ينظر : P. Newmark, 1977, Communicative and semantic translation , inBabel,

ورغم ابتعاد الترجمتين عن الصيغة الأصلية للنص ، فإنهما ، بشيوعهما واشتهارهما ، تكادان تكونان أصليتين في الاستعمال. فأيا كان البديل الذي يمكن اقتراحه ، فانه لن يكون بمثابة هذين العنوانين شهرة وقيمة. ورغم علمنا بدقة المسلك ، ورقة صيغة العنوان ، وصعوبة المهمة ، وسعيا وراء تقريب الترجمة من عنوانها الأصلي ، يمكن اقتراح كلمة « الصاعدة » بديلا ل « الشاقة » أو « الوعرة » ، لأن كلمة « الصاعدة » هي الأقرب من عبارة « quimontent » الواردة أصلا في العنوان ، كما أنها تحوي في طياتها هذا الشقاء وهذه الوعورة الواردتين في الترجمتين.

أما العنوان الأصلي ، فهو أيضا بحاجة إلى بعض من العناية دراسة وتحليلا. فمن أين هذا العنوان ؟ وما المقصود به ؟ لماذا اختار الكاتب كلمة الدروب les chemins دون غيرها من الكلمات التي توحي إلى السيرة والمسيرة ومشقة الحياة في منطقة القبائل ؟ لماذا فضل الجملة الفعلية « quimontent » الصاعدة بدلا من النازلة أو الملتوية أو غيرهما؟.

إن النص الأصلي في حد ذاته (العنوان) جامع بين جغرافيا منطقة القبائل (القرى الجبلية) وكذا نمطهم المعيشي وما يسيرهم من قيم ومبادئ إذ أن كلا منهما يجمع في وعورته وصعوبته بين الالتواء والارتفاع وطول المسافة وغيرها.

أما جغرافيا المنطقة ، فمن المعروف عن منطقة القبائل أنها جبلية ، صعبة المسالك و قاسية التضاريس. ونظن أن قسوة الطبيعة هذه من الظروف التي لعبت دورها في اختيار الكاتب لعنوانه هذا.

تتسم منطقة القبائل ، بين قراها ومداشرها وحقولها ، بصعوبة مسالكها والتوائها وضيقها. هذا إضافة إلى كونها تتصاعد كالسلالم التي تعلو كل منها الأخرى ، فتتعالى وكأنها لامتناهية لأن كل التواء يليه مثيله ، وكأنها تتطاول وتتمدد كلما سعينا فيها شوطا وأشواطا.

نفس الظروف والخصائص يمكن نسخها على حياتهم وأحوال معيشتهم التي لايحسدون عليها.فالنمط المعيشي ، الذي نخص فيه بالذكر عاداتهم التي تحكم حياتهم اليومية ، وتتحكم في روابطهم وعلاقاتهم الاجتماعية ، انعكاس وتجسيد للطبيعة التي تحيط بهم بما فيها من جميل وشنيع. فحياة البطل الرئيسي للرواية ، عامر ، ابن لامرأة من جنسية فرنسية ، مليئة بالشوائب والصراعات: العقائدية بين الإسلام والمسيحية ، الثقافية بين القبائلية والفرنسية ، العشائرية بين

عائلة وأخرى...

نستخلص من العنوان الأصلي ، باللغة الفرنسية ، أنه يعود ، إذن ، إلى مرجع ملموس مرئي نشاهده بالعين فنبصر حقا تلك الدروب الملتوية ، المتلاطمة ، الصاعدة على رفوف الجبال مؤدية من أو إلى تلك القرية الملتصقة بإحدى القمم. فصعوبة المسالك وطولها يجعلنا نحس أنها حقا لامتناهية ، وكأنها تمتد وتتمدد وتتمطى في السماء ونحن ننظر من أسفلها.

صحيح أن العنوان الأصلي يرمز إلى تلك المسالك الصعبة ، الضيقة ، التي كثيرا ما تسببت في أضرار جسمانية لعابريها وكذا في خسائر مادية عندما تنزلق حيواناتهم بما فوقها من أمتعة ورزق لا تخرجه التربة إلا بعد العناء وشق الأنفس لكنه يشمل أيضا قضايا أخرى ورد ذكرها في ثنايا الرواية. ونلخصها فيما يلي:

قساوة الطبيعة في منطقة القبائل التي وصفها الروائي خاصة في فصل الشتاء الذي يحد حتى من حركة الناس وتنقلهم ، إذ يصبحون حبيسي القرية و محيطها الضيق.الصراع القائم بين ديانتين ، الإسلام والمسيحية ، من خلال عقيدتي الشخصيتين الأساسيتين للرواية : ذهبية وعامر.

صراع شخصية ذهبية مع ذاتها حيث أن العادات والتقاليد والنمط المعيشي للقبائل لاتسمح بالبوح بعلاقة غرامية ما ، ويرفضون التقرب بكل من لا يشاطرهم الدين والعادات ، إن للمفردات الخاصة بالبيئة أو الحضارة من التأثير المدلولي ما لا يقارن ولا يشابه من حيث العمق والدقة فكرة وإحساسا. فالمخزون المدلولي لبعض الألفاظ المعجمية واللبوس اللغوية أو السياقية ، خاصة في ثنايا استعمالها الاستعاري ، لايفصح ولا يجهر بسرها لمن لم يروض الثقافة والعادات وغيرهما مع التحكم في اللغة.

نظن أن الكاتب مولود فرعون قد أخذ عنوانه هذا من الطبيعة القاسية لهذه المناطق الجبلية ، فجمع في عنوانه وصفا لأمرين مختلفين متباعدين ومتشابهين متقاربين ، في آن واحد : فقد جمع بين هذه الدروب الملتوية ذات المسافة البعيدة والارتفاع الكبير ، وبين بعض الأطعمة التقليدية مثل (ثمثونت ، لخفاف ، ...) التي تحضر في المنطقة بعد عناء المرأة وشقائها ، لكونها تتطلب جهدا كبيرا من عضلات المرأة ، وكذا كثيرا من الوقت ، وهي تتركها تتخمر وترتفع وتعلو حتى تصبح جاهزة للطبخ. فكم هو التباعد بين هذا وذاك وكم هو التشابه والتقارب بينهما؟

كما عمد الكاتب مولود فرعون استعمال الفعل Montent الذي جاء على

صيغة المضارع. لكنه ليس بالمضارع الذي تم بل هو حاضر متسم بالصيرورة والديمومة ، أي أنه متواصل غير منقطع ، وكأن هذه الدروب غير محدودة الارتفاع والمسافة حيث نحس بامتداد مسافتها كلما قطعنا شوطا منها.

قائمة المراجع:

1. فرعون مولود ، الدروب الوعرة ، ترجمة :حنفي بن عيسى ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984.
2. الدروب الشاقة ، ترجمة :حسن بن يحي ، دار صالح تلانتيقيت للنشر ، الجزائر ، 2005.
3. عبد المالك أشهبون «العنوان في الرواية العربية» محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع ، سوريا ،2011.
4. FERAOUN M, Les chemins qui montent, Editions ENAG, Alger1992.
5. P. Newmark, 1977, = Communicative and semantic translation , in : Babel, Vol. XXIII n°34